

المركز النيجيري للبحوث العربية

مكتب الرياض

The Nigerian Center for Arabic Research
Riyadh Office



الشيخ آدم عبد الله الإلوري في موكب الخالدين

"مجموعة بحوث ودراسات علمية عن حياة الشيخ آدم عبد الله الألوري
وأعماله"

كلية الآداب، جامعة إلورن، نيجيريا

رئيس التحرير

أ.د. عبد الرزاق ديريمي أبوبكر

المجلد الأول

مفتوحات المركز النيجيري للبحوث العربية - مكتب الرياض
٢٠١٢/هـ ١٤٣٣م

الإلوري ومجهوداته الفقهية: دراسة تحليلية لكتابه "الصوم والفطر"

عبد الحميد يوسف دماصي

مقدمة

لا

فإنه يخفي على كل مسلم أهمية الصوم القصوى وهو ركن رابع من

أركان الإسلام الخمسة بعد الشهادتين والصلاة والزكاة وهو من أفضل العبادات، وبه يكسب العبد تقوى الله عز وجل وينال به رضا.

لقد خص الله تبارك وتعالى شهر رمضان بالصيام وفرض صومه على كل مكلف ثلاثين أو تسعة وعشرين يوما. ومن تيسير الإسلام أن الله رخص للمسافر والمريض بالفطر مع قضاء ما فاتهما في أيام أخر. كما خص الله سبحانه وتعالى هذا الشهر العظيم بانزال كتابه الكريم في ليلة من لياليه هي ليلة القدر التي جعلها خيرا من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها ونذب الإسلام إلى الإكثار من تلاوة ذلك الكتاب الكريم وتذكر آياتها في الشهر العظيم. وتأكيدا على عظم شهر رمضان والصوم فيه تولى الله تعالى جزاء الصائمين ووعدهم - إن صاموا نهاره وقاموا ليله مخلصين له أعمال بالجنة يوم القيامة بدخولها من باب يقال له الريان.

هذا وقد اهتم علماء الإسلام ببيان فضل الصوم وتوضيح ما يتعلق من الأحكام الفقهية وألفوا لهذا الغرض كتابا مفيدة كثيرة ليكون المسلمون علم بما يجب وما يحرم عليهم وهم يصومون نهارا ويقومون ليلا كيلا تضيع أعمالهم هباءً منثورا.

والدراسة التي نحن بصددتها تتناول كتاب "الصوم والنظر" لعلماء نيجيريا بغرب إفريقيا الشيخ آدم عبد الله الإلوري. وهي محاولة

ما يحويه الكتاب من الأحكام الفقهية والقضايا الاجتماعية التي حاول المؤلف معالجتها بغية توحيد صفوف المسلمين في نيجيريا بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة لما يحدثه الاختلاف في مسألة رؤية الهلال في بداية شهر رمضان ونهايته من بليلة وفوضى عارمة بين مسلمي بلاد نيجيريا شمالا وجنوبا.

الكتاب ومؤلفه وسبب تأليفه

حمل الكتاب عنوان الصوم والفطر: وهذا كتاب يدعو إلى توحيد يوم بدء الصوم وختمه على جميع العالم والعمل بالتقويم الفلكي لتعداد الأيام والشهور بدعة حسنة كاستحسان سيدنا عمر (رضي الله عنه). وطبع الكتاب بمطبعة الثقافة الإسلامية، أجيجي نيجيريا الطبعة الأولى محرم ١٤٠٥ هـ الموافق سبتمبر ١٩٨٥ م. وساعد المؤلف على ترتيب الكتاب كل من السيد عبد الرشيد وعبد الرفيع مع ملاحظة من قبل الأستاذ صديق فاروق.

نبذة عن المؤلف الشيخ آدم عبد الله الإلوري

هو آدم بن عبد الباقي بن حبيب الله بن عبد الله الإلوري، ولد بقرية نيجيريا بجمهورية بينين (دهومي سابقا) عام ١٩١٧ م. قرأ القرآن على والده ثم أخذ الشيخ صالح أيسنويو الإلوري والشيخ عمر الأرجي الإلوري والشيخ نامجي الكوي. ثم قام برحلة علمية إلى القاهرة والسودان العربي المملكة العربية السعودية. وأسس مركزا للتعليم العربي الإسلامي عام ١٩٨٠ م في أليكونا أولا ثم انتقل به إلى أغيني، لينغوس عام ١٩٥٥ م. وقد عمل في المركز عدد غفير أبناء نيجيريا وما جاورها من البلدان بغرب ما مثل غانا وبينين وتوغو وساحل العاج وغيرها.

ألف الشيخ الإلوري ما يزيد عن مائة كتاب في مختلف الميادين: في الدعوة والتاريخ والأدب واللغة والفقه والتشريع والفلسفة والتصوف والسياسة وغيرها. وكان الإلوري إماماً وخطيباً في جامع مركزه، وكان يقيم مجلس التفسير القرآن في أيام رمضان كما يقوم بالوعظ والإرشاد في لياليها وفي المناسبات المختلفة داخل نيجيريا وخارجها. توفي الإلوري عام ١٩٩٢م رحمه الله، وعمره ٧٥.^٢

نال الشيخ الإلوري كثيراً من الأوسمة والجوائز التشجيعية في حياته، منها وسام جمهورية مصر العربية في العلوم والفنون، كما تقلد المناصب العلمية والدعوية أهمها منصب الأمين العام لرابطة الأئمة وشيخ العلماء في بلاد يوريا إضافة إلى كونه مدير مركز التعليم العربي الإسلامي أجيبي نيجيريا.

يُعتبر الإلوري من أولئك العلماء الأفذاذ في نيجيريا الذين برعوا في فن التأليف وتركوا كتباً كثيرة أثروا بها المكتبات العربية والإسلامية داخل نيجيريا وخارجها. طرق معظم الفنون العلمية وألف فيها كما حقق كتب التراث. "قد سجل له أكثر من خمسين كتاباً في الأدب العربي والنحو والصرف والتصوف الإسلامي والتاريخ والفقه والعلوم، وتبوأ مكانته المرموقة في صفوف الكتاب باللغة العربية لغزارة علمه وسعة ثقافته ونساعة لغته ووضوح تعبيره وقوة حجته، فلاقت كتبه شهرة واسعة في الأقطار العربية والإسلامية، وأعيدت طباعتها مرات عديدة".^٤ ورد في معجم المؤلفين بأن الإلوري "يكتب بالعربية الفصحى بأسلوب مشوق وصياغة متقنة، ويلم بالآداب العربية، ويرتاد في كتاباته معالم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ولصيق المقام عن عرض جميع مؤلفاته تكتفي بذكر بعضها لأن ما لا يدرك كله فلا يترك جله، وفيما يلي أهم مؤلفاته:

الدين النصيحة، صدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧م والثانية سنة ١٩٦٦م والثانية سنة ١٩٧٨م (عدد الصفحات: ٣٩) من منشورات مطبعة الثقافة الإسلامية أجيبي نيجيريا.

الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي، صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في ١٩٥٠م (عدد الصفحات: ٦٢) والثانية في ١٩٧٥م (عدد الصفحات: ١٨٤) لم يذكر مكان طبعه.

موجز تاريخ نيجيريا، صدر في سنة ١٩٦٥م (عدد الصفحات: ١٧٣)، والكتاب من منشورات مكتبة الحياة، بيروت.

الإمام المغيلي وأثره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، صدر في سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٥م (عدد الصفحات: ٧٢)، والكتاب من منشورات شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

لمحات البور في مشاهير علماء الورد، ظهر في رمضان ١٤٠٢هـ / يوليو ١٩٨٢م (عدد الصفحات: ٧٨)، والكتاب من منشورات مكتبة الآداب ومطبعتها بالجاميز والمطبعة النونجية بمصر.

الصيام في الإسلام

نظراً لموضوع هذا الكتاب يحسن بنا أن نقدم كلاماً مختصراً عن التعرف بمصطلحين الأساسيين وهما: "الصوم" و "رمضان" في الإسلام، وبينان حكم صوم رمضان، ومن ثم نتطرق إلى بيان فوائد الصوم مع ذكر زمن فرضه على أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

فالصوم لغة يعني ترك الطعام والشراب والنكاح والكلام. ولفظ الصوم مصدر، أصله صَامَ يَصُومُ صَوْماً وصِيَاماً، ويقال اصْطَلَمَ بمعنى صَامَ. ورجل صَائِمٌ وصَوِّمَ من قوم صَوَّامٌ وصَيَّامٌ وصَوِّمٌ.^١

أما في الاصطلاح فقد بيّنه ابن كثير عند تفسير قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣)، وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقوع بنية

خالصة لله عز وجل...^٢ والصوم الشرعي إمساك وامتناع إرادي عن الطعام

والشراب ومباشرة النساء وما في حكمها، خلال يوم كامل: أي من تبيين الفجر

إلى غروب الشمس، بنية الامتناع والتقرب إلى الله تبارك وتعالى.^٣

وكل صوم في القرآن فهو من العبادة، أي: الصوم الشرعي، خلا

قوله تعالى: "فَكُلْ وَاشْرَبْ وَاعْتَصِمَا فِيمَا تَرَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي

نَزَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنِ أَكَلَمَ الْيَوْمَ أَنِسِيًّا" (مريم: ٢٦)، فهو بمعنى

الصمت. ♦

أما لفظ رمضا فقد ورد في اللسان أن "الرَّمَضُ والرَّمَضَانُ عُدَّةُ الحر.

والرمض حر الحجارة من شدة حر الشمس، وقيل هو الحر والرجوع عن

المبادي إلى المحاضِر، وأرض رَمَضَةُ الحجارة، والرَّمَضُ: شدة وقوع

الشمس على الرمل وغيره، والأرض رَمَضَاءُ".^{١٠}

وفي تعليل تسمية هذا الشهر باسم رمضان، قال ابن دريد: لما نقلوا

أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي هي فيها، فوافق

رمضان أيام رَمَضِ الحرّ وشدته فسمي به. وقال الفراء: يقال: هذا شهر

رمضان، وهما شهرا ربيع، ولا يُنكر الشهر مع سائر أسماء الشهور العربية،

يقال: هذا شعبان قد أقبل، وشهر رمضان مأخوذ من رَمَضَ الصائم يَرْمِضُ

إذا حرّ جوفه من شدة العطش.^{١١}

أما حكم صوم رمضان فقد ثبتت فرضيته في الكتاب والسنة

والاجماع يقول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ

عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (البقرة: ١٨٣)، قوله: "شهر رمضان الذي

أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر

فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر

ولا يربئ بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم

تَشْكُرُونَ" (البقرة: ١٨٥)، وفي السنة قوله صلى الله عليه وسلم "نبيا لإسلام

على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة،

وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام"^{١٢} وقال عليه الصلاة:

والسلام "إذا رأيتموه فموصوموا"^{١٣}

وأجمع المسلمون على أن صيام رمضان فرض، وأنه أحد أركان

الإسلام، فمن أنكر فرضيته كفر، إلا أن يكون ناشئاً في بلاد بعيدة، لا يعرف

فيها أحكام الإسلام فيعرف بذلك، ثم إن أصراً بغد إقامة الحجة عليه كفر، ومن

تركه تهاوناً بفرضيته فهو على خطر، فإن بعض أهل العلم يرى أنه كافر

مرتد، ولكن الراجح أنه ليس بكافر مرتد، بل هو فاسق من الفساق لكنه على

خطر عظيم".^{١٤}

ولما كان الإسلام دين يسر ورحمة فقد رخص الشارع للمريض

والمسافر فلا يصومان في حال المرض والسفر، لما في ذلك من مشقة

عليهما. بل لهما أن يفطرا حتى تزول حال الضرورة فعندئذ يلزمهما القضاء

في أيام أخر. وأما من ليس في حال المرض والسفر أي الصحيح والمقيم فقد

خير الله كلاهما بين الصيام والإطعام، إن شاء صام، وإن شاء أفطر،

وأطعم عن كل يوم مسكيناً، وإن تقصّل بإطعام أكثر من مسكين فذاك خير له،

وإن صام أفضل من الإطعام، وذلك في مرحلة أولى من مراحل فرض

الشیطان من العبد بتضيق مجاری الطعام والشراب وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحکم الطبیعة فیما یضرها فی معاشها ومعادها، ویسکن کل عضو منها وكل قوة عن جصاحه، وتلجم بلجامه، فهو لجام المتقین، وجنة المحاربین، وریاضة الأبرار والمقربین، وهو لرب العالمین من بین سائر الأعمال، فإن الصائم لا یفعل شیئا، وإنما یتزک شہوته وطعمه وشرابه من أجل معبوده، فهو تزک محبوبات النفس وتلذذاتها إیتارا لمحبة الله ومرضاته، وهو سر بین العبد وربہ لا یطلع علیه سواه، والعباد قد یطلعون منه على تزک المفطرات الظاهرة، وأما کونه تزک طعامه وشرابه وشہوته من أجل معبوده، فهو أمر لا یطلع علیه بشر، وذلك حقيقة الصوم....

أضاف ابن القيم قائلا:
ولما کان فطمُ النفوس عن مآلوفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها، تأخر فرضه إلى وسط الإسلام بعد الهجرة، لما توطنت النفوس على التوحيد والصلاة،

وألقت أوامر القرآن، فنقلت إليه بالتدریج. وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة، فتوفي رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضان.....^{١٦}
ولا يمكن إحاطة فوائد الصيام في دفتي مثل هذه الورقة المحدودة الصفحة. وحاصل ثمرة الصيام ما ذكره المولى في قوله: "...لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ". فمن شأن الصوم أن يبعث في قلب الصائم الخوف من الله ويجعله يشعر بمراقبته لكل تصرفاته في حركاته وسكناته ولا يقول ولا يفعل إلا ما يرضيه وينال به السعادة الأبدية في الدار الآخرة. كما أن الصوم يجعل الصائم يلتزم بأوامر الله ويجتنب نواهيه، وإذا لم يبنه الصائم عن المنهيات ولم يكف عن انتهاك الحرمات فذلك دليل على أن صيامه مردود عليه، قال النبي صلى الله

الصيام. قال ابن كثير: "وروى الإمام أحمد: عن معاذ بن جبل، قال: أحللت الصلاة ثلاثة أحوال، وأحبل الصيام ثلاثة أحوال... وأما أحوال الصيام فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة، فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وصام عاشوراء، ثم إن الله فرض عليه الصيام، وأنزل الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (البقرة: ١٨٣) إلى قوله: "أَيُّهَا مَعْتَدُونَ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ" (البقرة: ١٨٤) فكان من شاء صام، ومن شاء أطلع مسكينا، فأجزأ ذلك عنه. ثم إن الله عز وجل أنزل الآية الأخرى: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ" و "فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ" فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح، وخصص فيه للمريض والسافر، وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام، فهذا حالان.^{١٥}

وباستقراء الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات وعادات يتبين لنا أن الشريعة الإسلامية موضوعة لمصالح العباد في الدارين، بجلب المنفعة لهم ودرء المضره عنهم. هنا فقد شرع الشارع الصيام وفرضه على العباد لما يترتب على ذلك من فوائد عظيمة. ولابن القيم كلام طويل ومفيد عن مقصود الصيام وفوائده وعن الحكمة في زمن فرضيته يقتضي المقام إيراد لما أودعه من معاني جامعة وفوائد لامة، يقول في كتابه زاد المعاد: "لما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وغطاها عن المآلوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظما من حداثها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين. وتضيق مجاري

عليه وسلم: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه." ^{١٧}

وكفى شهر رمضان فضلاً أن أنزل الله القرآن الكريم في ليلة منه يقال لها ليلة القدر وهي خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربه. قال ابن عباس في قوله تعالى: (البقرة: ١٨٥) "شهر

رمضان، واللييلة المباركة: ليلة القدر، فإن ليلة القدر هي اللييلة المباركة، نزل القرآن جملة واحدة من الزبر إلى البيت المعمور، وهو مواقع النجوم، في السماء الدنيا حيث وقع القرآن، نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في الأمر والنهي وفي الحروب رسلاً رسولاً... ^{١٨} وكان من هديه صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان، الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل عليه الصلاة والسلام يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا أقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، يكثر فيه من الصدقة والإحسان، وتلاوة القرآن والصلاة، والذكر، والاعتكاف. ^{٢٠}

سرد وتحليل الكتاب

استهل المؤلف كتابه بمدخل موجز ضمنه فكرة محورية لما يرمي إليه في الكتاب حيث ذكر قضية فقهية أصولية وهي الفرق بين البدعة والاستحسان، ورأى أن الحديث: "كل بدعة ضلالة..". ليس على إطلاقه لوجود ما يعتبر بدعة حسنة ولحديث آخر: "ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن". وعليه فإن الاستحسان هو الأخذ بالمصلحة وتقديمها على النص والقياس عند وقوع التعارض غير أن الأخذ بالمصلحة يجب أن يستند إلى نص أو قياس خفي، وإلا فلا اعتبار للمصلحة المناقبة لصريح النص. وأشار

المؤلف إلى مواقف الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه مثل جمعه الناس على إمام واحد في التراويح لما رأى أن المصلحة اقتضت ذلك. وبناء على هذا صرح المؤلف بضرورة "جمع الناس على بدء الصيام وعيد الفطر والعمل بالتقويم الفلكي لأن مصلحة الناس تتعلق بذلك اليوم على طريق الاستحسان كما فعل عمر في التراويح وفي إرجاء سهم المؤلفة فلوبيهم في الزكاة..." ^{٢١}

وبعد هذا المدخل الذي سار فيه المؤلف على المنهج الذي بات شائعاً في الجامعات حيث يستهل الباحث رسالته الأكاديمية بملخص وجيز يودعه الفكرة الأساسية، افتتح بحمد الله وصلى وسلم على سيد الأنام محمد مع آله وصحبه الكرام. ثم ذكر ما كان عليه المسلمون في قديم زمان بشأن بدء صيام رمضان وختمه حيث كانوا يعتمدون رؤية الهلال لكل بلد الأمر الذي جعل بلداً يقدم على آخر بيوم دونما ضجر وفوضى إذ قد لا يعلم بلد ما يجري في بلد آخر. إلا أن اكتشاف التلغراف والتلفون والإذاعة في العصر الحديث كان سبباً في انتشار الأنباء بين البلدان، ومع ذلك ما زال يستقل كل بلد في بدء الصوم وختمه وفقاً لرؤية الهلال ولا يستيسغ بلد تقليد بلد آخر في ذلك.

ومن هنا عرّج المؤلف على الكلام عن حال مسلمي نيجيريا الذين انقسموا إلى شماليين وجنوبيين، وذكر ما بينهم من خلاف كل عام في شهر رمضان مبنين مأخذ كل فريق على آخر. فأهل الشمال يحاولون إقناع أهل الجنوب وحملهم على أن يعملوا - برؤيتهم - ويتبعوا فتوى سلطان صوكوتو ^{٢٢} المذاعة على إذاعة كالونا ليصوم المسلمون ويفطروا في يوم متحد، ولكن أهل الجنوب امتنعوا ورأى غالبيتهم ضرورة الاستقلال في هذا الشأن حسب رؤية الهلال في منطقهم. وإن كان المؤلف أقر بجدارة أهل الشمال - تحت قيادة سلطان صوكوتو - بالسيادة في تحديد يوم بدء وختم الصوم نظراً لمكانة المنطقة كدولة إسلامية قبل الاستعمار، إلا أنه اشترط في

خامسا: تسليم أمر هلال ذي الحجة للدولة السعودية لأنها هي المسؤولة عن الحج وإعلان يوم الوقوف ويوم النحر على العالم لأن الوقت تسعة أيام وهي كافية للإبلاغ ويجب على المسلمين أن ينحروا بيوم بعد الوقوف".^{٢٥}

والحقيقة أن المؤلف ليس بدعا من حيث اهتمامه البالغ بإيجاد الحلول لحسم البلبلة الناجمة عن اختلاف المسلمين في كل عام عند بداية الصيام ونهايته بل شأنه في ذلك شأن غيره من العلماء الغيورين الذين أثروا الوحدة بين مسلمي نيجيريا وبدلوا في تحقيق ذلك أنفسهم ونفسيهم. ولذلك نوه بهمة مماثلة إزاء الأمر من قبل الشيخ محمد ناصر كبرا، أحد علماء الشمال الذي حرر مقالا عام ١٩٧٩ م دعا فيه من يهمهم الأمر إلى تغيير الطريق المعتمد في إثبات هلال الصوم والفطر مشيرا إلى أن شهري رمضان وشوال لم يكلا خلال أكثر من العشرين سنة، مما يعني الخطأ المتكرر في تحديد بداية صوم رمضان ونهايته. ولكي يتجنب هذا الخطأ أوصى هذا الشيخ القادري "بالرجوع إلى الحق وأخذ من كل وجه أتاكم، فإن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها".^{٢٦}

وبعد أن استشهد المؤلف بكلام الشيخ محمد ناصر كبرا بخصوص تضارب الأخبار واختلاف المسلمين في بداية الصوم وختمه في نيجيريا، بين أن مصادر الأحكام في الإسلام منحصرة في الكتاب والسنة لا ثالث لهما. وأن ما جاء في هذين المصدرين من النصوص قد يكون قطعيا أو ظنيا في الثبوت والدلالة. فالأحكام القطعية مثل الأمر بالصلاة والصوم والإيمان بالله - كلها وردت بنصوص قطعية ثبوتا ودلالة، وهي أمور لا يجوز فيها الاختلاف بين العلماء كما لا يسوغ فيها الاجتهاد بالنسبة لوجوبها، غير أن فروع هذه الأمور قد يقع فيها الاختلاف كما قد يتناولها الاجتهاد، ذلك لأن

تسليم القيادة لهم مراعاة بعض الشروط أهمها "الاعتراف بفضل الغير ومشاورة أهل الرأي من كل مكان".^{٢٧}

ثم أبدى المؤلف أسفه الشديد على ما ينتاب المجتمع من قلق وحيرة في كل عام يستقبل فيه المسلمون شهر رمضان وعيد الفطر وخاصة عند ما تنقل الإذاعات أخبارا متضاربة عن الشمال والجنوب حيث يبدأ المسلمون صيام رمضان في المنطقتين في زمن مختلف. ومن هذا المنطلق عقد العزم عبر هذا الكتاب على تقديم الاقتراحات النيرة من شأنها الحيلولة دون الشقاق بين الشماليين والجنوبيين ليحصل الاتفاق والتوحيد بينهم وقت الصوم والفطر. والمؤلف في هذا يمثل موقف رابطة الأئمة والعلماء من أهل الجنوب الذي كان فيها عضوا بارزا. ونبه المؤلف منذ البداية إلى أن أمر بدء الصيام وختمه قضية اجتهادية لا يُلَام عليه المجتهد، فكل مجتهد نصيبه: أجران إن أصاب وأجر إن أخطأ.

ولكى يحصل الوفاق المنشود بين الشماليين والجنوبيين بخصوص الصيام اقترح المؤلف على أهل الشمال خمسة أمور^{٢٨}:

أولا: أن يعترفوا بكيان علماء الجنوب وإن كانوا دونهم من حيث العلم والمعرفة إلا أنهم علماء عند قومهم.

ثانيا: الاعتراف بإسلام مسلمي يوريا وأن يصلوا معهم في مسجد واحد مع إلغاء التفرقة بين مسجد هوسا ومسجد يوريا.

ثالثا: مشاورة علماء يوريا في شأن الصيام وغيره من الشؤون الإسلامية بطريق مباشر.

رابعا: الاهتمام بأمر هلال الشهور قبل رمضان لاتقيات صحة أولية رمضان وأخريته.

صلى الله عليه وسلم: "صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته" أن الحديث يدل على أن رؤية الهلال في بلد واحد يجب العمل بها في كل بلدان المسلمين لأن الخطاب فيه عام. أما الفريق الثاني فيستند إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تصوموا حتى تروه، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاقذروا له" ومفاد الحديث "أنه لا يلزم الصوم إلا من رأى الهلال في حدود نفسه وجماعته القريبة منه". والحاصل أن الرأي الثاني هو المعمول به في العالم اليوم حيث يعتمد المسلمون رؤية الهلال في بلدهم دون اتباع البلدان الأخرى في ذلك. ولهذا اعتبر المؤلف الرأي الأول - القاضى بأن رؤية بلد واحد تعم بلاد الدنيا كلها - مجرد "فرض فقهي خيالي ليس واقعيا في جميع العصور السالفة لا في عصر الصحابة ولا في عهد الأمويين والعباسيين لا في آسيا وأفريقيا والأندلس وغيرها من بلاد أوربا"^{٢١}

ثم إن اختلاف المطالع من مقتضيات الاختلاف في رؤية الهلال في بلدين متباعدين، وهذاما يجعل القول بعدم اختلاف المطالع بخالف العقل والنقل. أما مخالفته العقل فواقعية اختلاف المطالع وأما النقل فمما رواه مسلم في صحيحه بشأن رؤية الهلال في الشام ليلة الجمعة ورؤيته في المدينة ليلة السبت، مما جعل ابن عباس وأهل المدينة أن يتأخروا عن أهل الشام في بداية الصوم وختمه.^{٢٢}

استطرد المؤلف وذكر أن الفقهاء قد حددوا البلاد القريبة والبعيدة في رؤية الهلال بثلاثة أشياء هي مسافة القصر، واختلاف الإقليم ارتفاعا وانخفاضاً، واختلاف المطالع بخطوط الطول التي تمتد من الشمال إلى الجنوب. واعتبر المؤلف اختلاف المطالع أقوى ما تحدد به رؤية الهلال لأن الجمهور على أن مسافة القصر واختلاف الإقليم لا يكفيان في ذلك. وعليه حمل المؤلف حديث الأعرابيين الذين شهدوا بروية الهلال ووافقهما على تلك

منها ما وردت نصوصها بطريق ظنية ثبوتاً و دلالة. وإذا كان الأمر بالنصوم ورد بطريق قطعية وأجمع المسلمون على وجوبها فإن تحديد بدايته ونهايته لا يخلو من كونه أمراً اجتهادياً اختلف فيه العلماء عبر العصور. وامتنعت جذور هذا الاختلاف إلى العهد النبوي حيث "يتمارى الناس في رؤية هلال رمضان فقال بعضهم اليوم، ويعدمه عدا..." فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقبل رؤية من رأى الهلال ويكتفى بمجرد شهادته أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم. بيد أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يلزم المسلمين في بلدان أخرى بروية وقعت في بلد آخر، بل يبدأ وينهى المسلمون صومهم في كل بلد اعتماداً على رؤية الهلال في أفق سماءهم. وبناء على هذا عارض المؤلف قول من قال بأن رؤية بلد واحد توجب الصيام على أهل الدنيا واعتبر هذا مجرد افتراض فقهي لم يشهد التاريخ وقوعه عبر العصور الإسلامية.^{٢٣}

وانطلاقاً من كون النصوص الشرعية إما قطعية أو ظنية حاول المؤلف تطبيق هذه القاعدة على نصوص الصيام، فأورد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي نصت على وجوب الصيام. فالنصوص القرآنية قطعية كلها من حيث الثبوت والدلالة غير أن نصوص الأحاديث النبوية ينتاب دلالتها احتمال معاني مختلفة وإن كانت قطعية الثبوت، فمثلاً قوله صلى الله عليه وسلم: "صوموا لرؤية الهلال" وفي رواية أخرى: "لا تصوموا حتى تروه" وكذا في قوله: "فاقدروا له" وفي قوله: "فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً". ولأن هذه النصوص النبوية تحتل معاني كثيرة متباينة الدلالة والأوجه اختلف العلماء في تحديد بداية الصيام وختمه. فمنهم من رأى أن لكل بلد رؤيته ومنهم من رأى أن رؤية الهلال في بلد واحد تعم بلاد الدنيا كلها. ولكل فريق أدلته من الكتاب والسنة، فمثلاً استدل الفريق الأول بقوله

الرسول وأمر المسلمين أن يفطروا، على أن الأعرابيين أتيا من ضاحية قريبة من المدينة مما يعني عدم اختلاف المطالع، ولذلك أخذ الرسول بشهادتهما وأمر المسلمين بالإفطار. بينما حمل حديث ابن عمر على اختلاف المطالع الأمر الذي جعل ابن عمر والمسلمين في المدينة أن يتأخروا في بداية الصوم وختمه عن أهل الشام كما مر بنا بيانه سلفا. وإذا اجتمعت هذه الأشياء الثلاثة فإلزام من ذلك بالضرورة العمل باختصاص الرؤية لكل قطر.

وتأكيدا على واقعية اختلاف المطالع وأهمية اعتباره في تحديد بدء الصيام وختمه أشار المؤلف إلى أنه إذا وقع توليد الهلال نهرا فلا اعتبار له لأن العلماء في المذاهب الأربعة^{٣١} قد أجمعوا على أنه لكي يعتبر الهلال لا بد أن يكون توليده ليلا لا نهرا. وعليه إذا تم توليد الهلال نهرا في بلد معين لا يلزم أهله بقضاء ذلك اليوم، ورأى المؤلف أن التغافل عن هذه الحقيقة هو سبب الفوضى واللبلة والحيرة التي يجب أن نجتنبها ونبتعد عنها في العبادة، ومثلا جاء في تقويم من تقويم الفلكيين في مصر وهو تقويم اليازدي أن شهر رمضان المعظم ١٤٠٢ هـ أوله حسابا قمريا شرعيا ليلة الثلاثاء ويولد هلاله يوم الأربعاء. وبما أن رؤية الهلال إنما ثبتت عند أهل مصر في ليلة الثلاثاء ليندخروا في رمضان يوم الأربعاء فإنهم ليسوا ملزمين بالصوم يوم الثلاثاء الذي يصوم فيه أهل بلاد الشرق الأقصى كالصين واليابان مثلا حيث يسبق توليد الهلال هناك توليده في مصر بسبب اختلاف المطالع، لأن وقت النهار الذي يولد فيه الهلال بمصر يساوي وقت المغرب في الصين واليابان، ويمكن لأهل هذين البلدين أن يبيتوا الصيام بالرؤية ويصوموا في اليوم التالي (الثلاثاء) الذي تكون فيه رؤية الهلال ثابتة في مصر ليصوم أهلها في اليوم التالي (الأربعاء). كل هذا ساقط المؤلف ليلقى الضوء على أن

لاختلاف المطالع أثرا كبيرا في تحديد اليوم الذي يبدأ فيه المسلمون الصوم وفي اليوم الذي يعيدون.

بعد ما أفاض المؤلف في أن اختلاف المطالع من أهم الأشياء التي تؤثر في اختلاف رؤية الهلال ومن ثم الاختلاف في بدء الصوم وختمه، بعد ذلك كله، تناول قضية النهي عن العمل بالتقويم الحسابي الفلكي، مفيدا بأن العلماء انقسموا قسمين إزاء القضية: رأى الفريق الأول وهم الأكثر عدم اعتبار الميقات والحساب في دخول شهر رمضان والخروج منه لأن الشارع علق كلا من الصوم والفطر على الرؤية بقوله: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته" ومنهم هذا المذهب الإمام السبكي وغيره من العلماء. أما الفريق الثاني فإنهم رأوا جواز اعتبار الميقات والحساب، ومن الذين وقفوا هذا الموقف الإمام الشافعي وعدد من الفقهاء. وقد أيد المؤلف الفريق الثاني القائل بالجواز مستدلا بأن من عرف الفقهاء الرجوع في كل حادثة إلى أهل الخبرة وذوي البصائر بها، فمثلا قإنهم يأخذون بقول أهل اللغة في أفاط القرآن ويقول الطبيب في إفاط المريض وغير ذلك كثير، فكيف يمنع من الرجوع إلى أهل الخبرة في الحساب إذا أشكل علينا الأمر مع كون مقدماته قطعية^{٣٢} مشيرة إلى ما نكره المطيعي أن علم النجوم ليس مذهبوما في نفسه لأنه قسمان: قسم حسابي وهو محمود، وهو الذي نكر في قوله تعالى: "والشمس والقمر بحسبان..." أما قسم ثاني استدلالى فهو مذموم لأنه يتعلق بسير النجوم وحركة الأفلاك على الحوادث. وأما الحديث المستدل به في نهى الشرع عن الحساب قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما أمة لا تكتب ولا تحسب" فلا يصلح دليلا مطلقا لمنع الكتابة والحساب عند المؤلف لأن الحديث: صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن عم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما" يجمع بين العمل بالرؤية عند الإمكان وبالحساب عند تعذر

واستمر المؤلف قائلا:

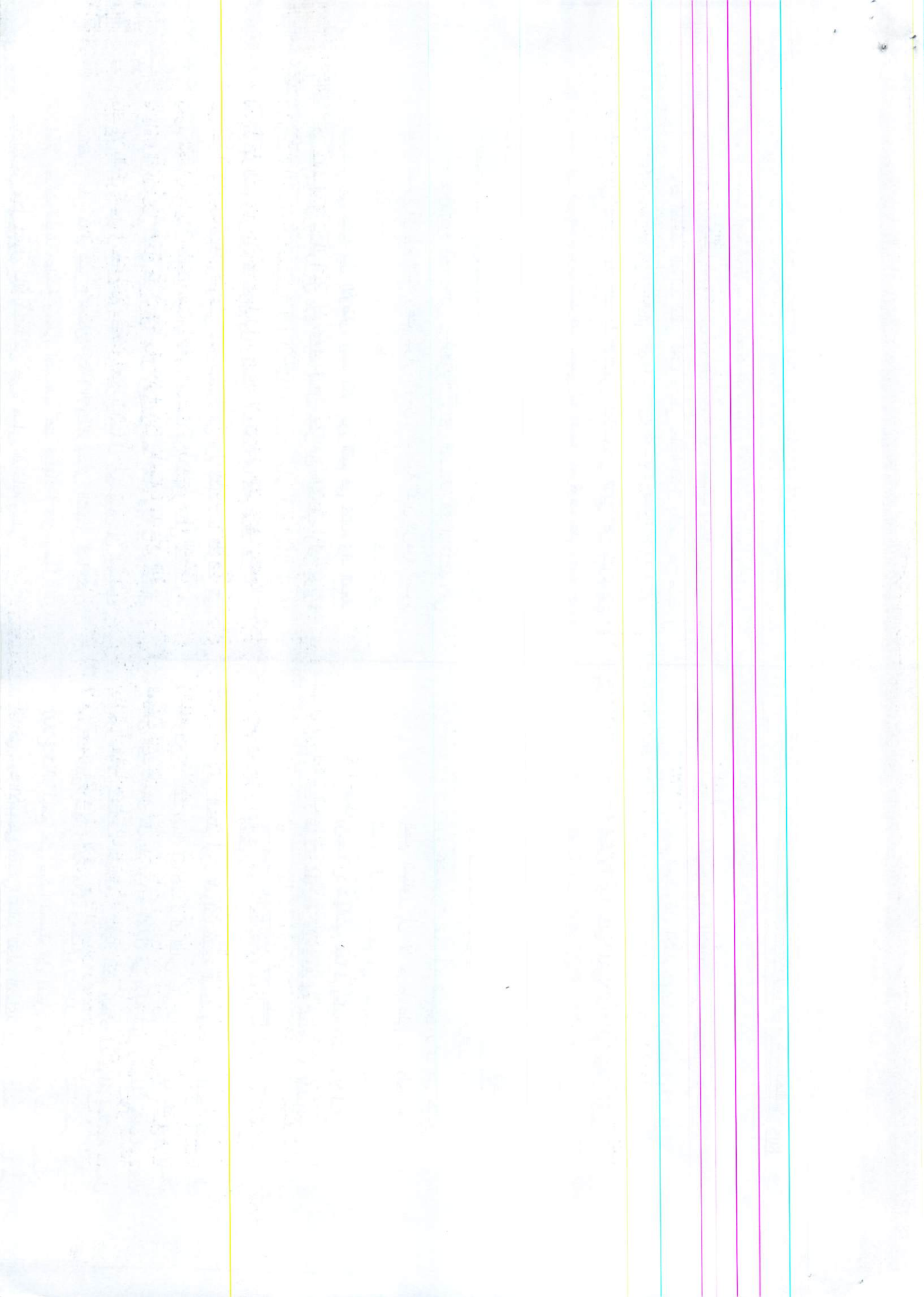
ولكن إذا وقع الاختلاف بين المسلمين في تحديد يوم العيد وقيل الإمام شهادة من شهد الهلال فإن للناس أن يصوموا إذا كان في أول رمضان أو يفطروا إذا كان آخره ما دام غالب الناس اجتمعوا على ذلك. وهذا يتمشى مع الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها "فطركم يوم تقطرون، وصومكم يوم تصومون، وعرفة يوم تعرفون وأضحاكم يوم تضحون" غير أن السبكي رأى في كتابه العلم المنتثر أن لا حرج على من تأخر في الفطر "لريبة عندهم في الشهود أو علمهم بما يوجب رد شهادتهم مما لم يعلمه الإمام ولا أمكن هؤلاء اطلاعهم عليه، فالوجه عندي أنه لا حرج عليهم وأنهم مكفون فيما بينهم وبين الله بما اعتقوه^{٣٦}

وفي الختام أورد المؤلف نتيجة البحث ونكر أن البحث يتوصل إلى فكرتين لا ثالث لهما: إحداهما ترك الناس على ما كانوا عليه منذ بدء الإسلام إلى اليوم ليعمل كل بلد بروية الهلال في بداية شهر رمضان وختمه، لثلاثة أمور أولا: اختلاف المطالع، ثانيا: عدم وجود أية دولة إسلامية تتحمل مسؤولية دينية منها رقابة هلال رمضان وشهور أخرى، ثالثا: ضيق الوقت لإبلاغ العالم أجمع حتى يبيتوا الصيام قبل الفجر. هذا كله في شهر رمضان. أما في عيد الأضحى فتتعدد الروايات^{٣٧}

الرؤية بسبب الغيم إذ لا بد من تعداد اليوم من واحد حتى تسعين وعشرين عملا بقوله: "فأكملوا العدة ثلاثين". وهذا التعداد هو الحساب بعينه.

وقد استأنف المؤلف ليلقي الضوء على حقيقة القول بالنهاي عن صيام يوم الشك، وهو يوم يظن الناس أنه من رمضان أو من شعبان وهو يوم الثلاثين من شعبان. فأما الحديث المشهور بخصوص النهي عن صوم يوم الشك أي "من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم" فموقوف على عمار بن ياسر. والذي صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم هو ما رواه أحمد "لا تستقبلوا الشهر استقبالا" وما رواه أبو داود "لا تقدّموا الشهر بيوم أو يومين إلا أن يكون نذرا يصومه أحدكم، ولا تصوموا رمضان حتى تزروه، وإن حال دونته غمامة فأتّموا العدة ثلاثين ثم أفطروا". ولكن الصحابة الكرام اختلفوا في جواز الصوم في يوم الشك وعدم جوازه. ومن الصحابة الذين كرهوا الصوم في يوم الشك عمار بن ياسر، وعلي ابن أبي طالب وغيرهما كما ذكرهم الشوكاني في كتابه نيل الأوطار. بينما ذكر ابن القيم في كتابه زاد المعاد الصحابة الذين صاموا في يوم الشك أمثال عمر بن الخطاب وأبو هريرة وغيرهما. وهؤلاء الصحابة إنما اختلفوا بصيامهم يوم الشك خوفا أن لا يفوتهم الصوم في يوم قد يكون أول رمضان وخاصة إذا كان هناك غيم^{٣٤}.

ولإزالة البلبلة والفوضى حول الصوم في يوم الشك دعا المؤلف إلى الاهتمام بأمر هلال شعبان ورجب قبله وغيرهما من الشهور على حد سواء بدلا من التركيز الهائل على رقابة هلال رمضان بحد ذاته، وإذا ما تم الاتفاق على الشهور قبل رمضان ففي ذلك أمثل كبير واحتمال غير يسير أن المسلمين سيتقنون على هلال شهر رمضان. وهذا الاهتمام بسائر الشهور إنما يكون عملا بجديت سيدتنا عائشة رضي الله عنها عند قولها: "كان رسول الله يتعظ من هلال شعبان مالا يتعظ من غيره" صلى الله عليه وسلم^{٣٥}.



ملاحظة عامة

يلاحظ أن المؤلف استهل كتابه بذكر فكرة البحث مفادها جمع الناس على بدء الصيام وختمه في يوم واحد ذلك لأن مصلحة الناس تتعلق بذلك اليوم، واعتبر هذا الرأي بدعة حسنة كفعل سيدنا عمر رضي الله عنه في جمع الناس على إمام واحد في التراويح. وفي ختام البحث كرر المؤلف الرأي نفسه مع اعترافه بصعوبة تطبيقه على أرض الواقع. ولكن لأجل التغلب على تلك الصعوبة اقترح خمسة أمور تضمن تحقيق ذلك الرأي. كما دعا إلى العمل بالتقويم الفلكي لتعداد الأيام والشهور.

ولكن، يبدو في أول وهلة وكأن هناك اضطراباً في هذه الفكرة التي انتصر لها المؤلف إذا اعتبرنا إقراره بأن أول الهلال ليس دائماً في مكان ثابت في الدنيا... "بل يدور أول الهلال حول الأرض في مختلف البلاد كما أراد الله"^{٣٨} وأن لاختلاف المطالع دوراً ملموساً في عدم ثبوت الهلال في مكان واحد كما فصل ذلك في الكتاب، بل إن اختلاف المطالع يقتضي رؤية الهال في البلاد البعيدة في وقت مختلف الأمر الذي يؤثر في بدء الصوم وختمه في تلك البلاد النائية. وإذا كان الأمر كذلك فإن الدعوة إلى جمع العالم على بدء الصوم وختمه في يوم واحد بغض النظر عن العوامل الثلاثة التي ذكرها آنفاً - اختلاف المطالع وطول المسافة واختلاف الأقاليم ارتفاعاً وانخفاضاً - لا تعدو أن تكون بعيدة عن الواقع. أضف إلى ذلك ما ذكره المؤلف أكثر من مرة بأنه "لم يثبت في التاريخ أن العالم الإسلامي عمل يوماً بهذا الرأي إنما هو فرض فقهي خيالي ليس واقعياً في جميع العصور السالفة لا في عصر الصحابة ولا في عهد الأمويين والعباسيين لا في آسيا وأفريقيا والأندلس وغيرها من بلاد أوربا"^{٣٩}

المسألة عن أمور التحج وتحديد يوم الوقوف بعرفة ومن ثم يوم عيد الأضحي، أضف إلى ذلك أن الوقت واسع لتبليغ العالم إذ هو تسعة أيام كاملة. أما الفكرة الثانية فهي إلزام جميع العالم بتوحيد يوم بدء الصيام وختمه. هذه الفكرة وإن كانت بدعة فإنها بدعة حسنة، ولكنها من الصعوبة بمكان، وربما يمكن العمل بها بأمور:

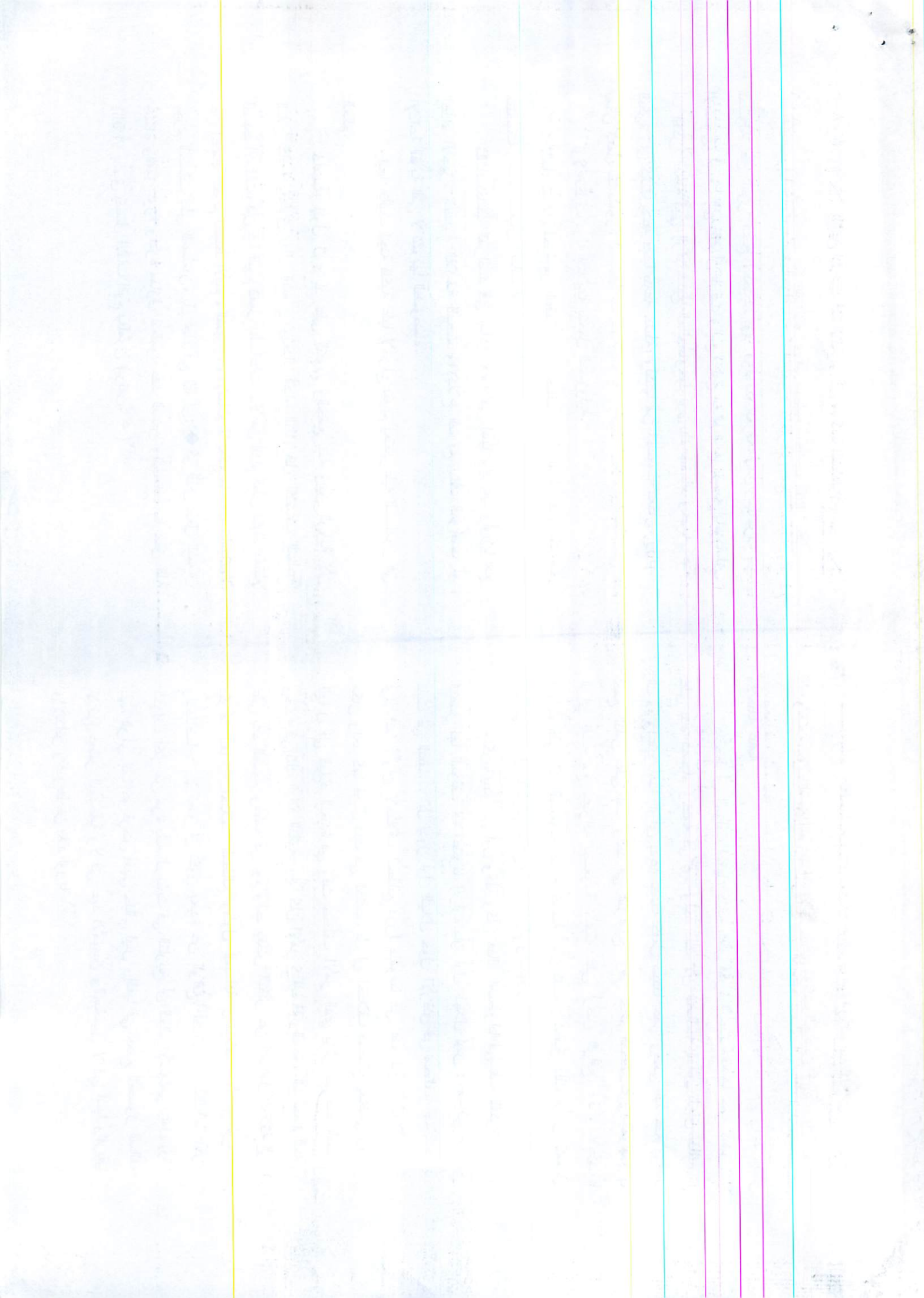
أولاً: تكليف دولة إسلامية بتحمل المسؤولية.

ثانياً: تشكيل لجنة من الفقهاء من مختلف الدول للنظر في ذلك منذ منتصف رجب وشعبان لإثبات أول رمضان..

ثالثاً: نصب المراسد في أماكن هامة في آسيا وأفريقيا وأوربا مع إعداد الأجهزة الحديثة اللازمة للبحث والإبلاغ السريع بتلك المراسد أو الإذاعة القوية التي لا تشوبها الضوضاء.

رابعاً: تأليف لجنة فلكية علياً لإخراج تقويم يعتمد عليه المسلمون في العالم.

خامساً: قبول الإمام على التقويم والجمع بينه وبين الرؤية لأن الناس كانوا يعملون بطل الشمس وتعداد أقدام الظل قبل اكتشاف الساعة لضبط الأوقات، فإن كنا اليوم نعمل بالساعات بدلاً من أقدام الظل فكيف نمتنع عن اعتماد التقويم لضبط الأيام والشهور، والإسلام لا يمنع ما ثبت علمياً ولا يحرم الحساب على المسلمين، بل جاء في القرآن: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لَعَلَّكُمْ عِنْدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (يونس: ٥)^{٣٧}



وختمه. وعليه كان هم المؤلف في الكتاب بحث الحلول الناجعة لتوحيد صفوف المسلمين وحملهم على التوافق بخصوص بداية الصوم وعيد الفطر قدر الإمكان. وأدل دليل على أن فكرة المؤلف قاصرة على ديار نيجيريا لا خارجها أنه أورد كلام الشيخ محمد ناصر كبرا الذي كان له اهتمام بالغ بوحدة المسلمين في الشمال والجنوب. ويفهم من إسهاب المؤلف في إيراد كلام هذا الشيخ القادري أنه كان يتوجه بفكرته نحو المسلمين في بلاد نيجيريا شمالا وجنوبا داعيا إلى ضرورة بدء الصوم وختمه في يوم واحد نظرا لاتحاد مطلع الهلال في تلك البلاد. ولو قلنا بأنه كان أراد العالم بأسره لحصل التناقض في بنية الفكرة لأنه قد أثبت أن اختلاف المطالع أمر عظيم بالضرورة-عقلا وعقلا- فلزم من هذا اختلاف رؤية الهلال في البلاد البعيدة، كما أنه قد أقر بصعوبة توحيد يوم بدء الصوم وختمه وإن كان اشترط في سبيل تحقيق ذلك خمسة الأمور التي من الأصعب توفيرها. بناء على هذه المعطيات والاعتبارات فإن قصر فكرة المؤلف على بلاد نيجيريا لاتحاد مطلع الهلال فيها يتناسب مع ما ورد في الكتاب، والله أعلم.

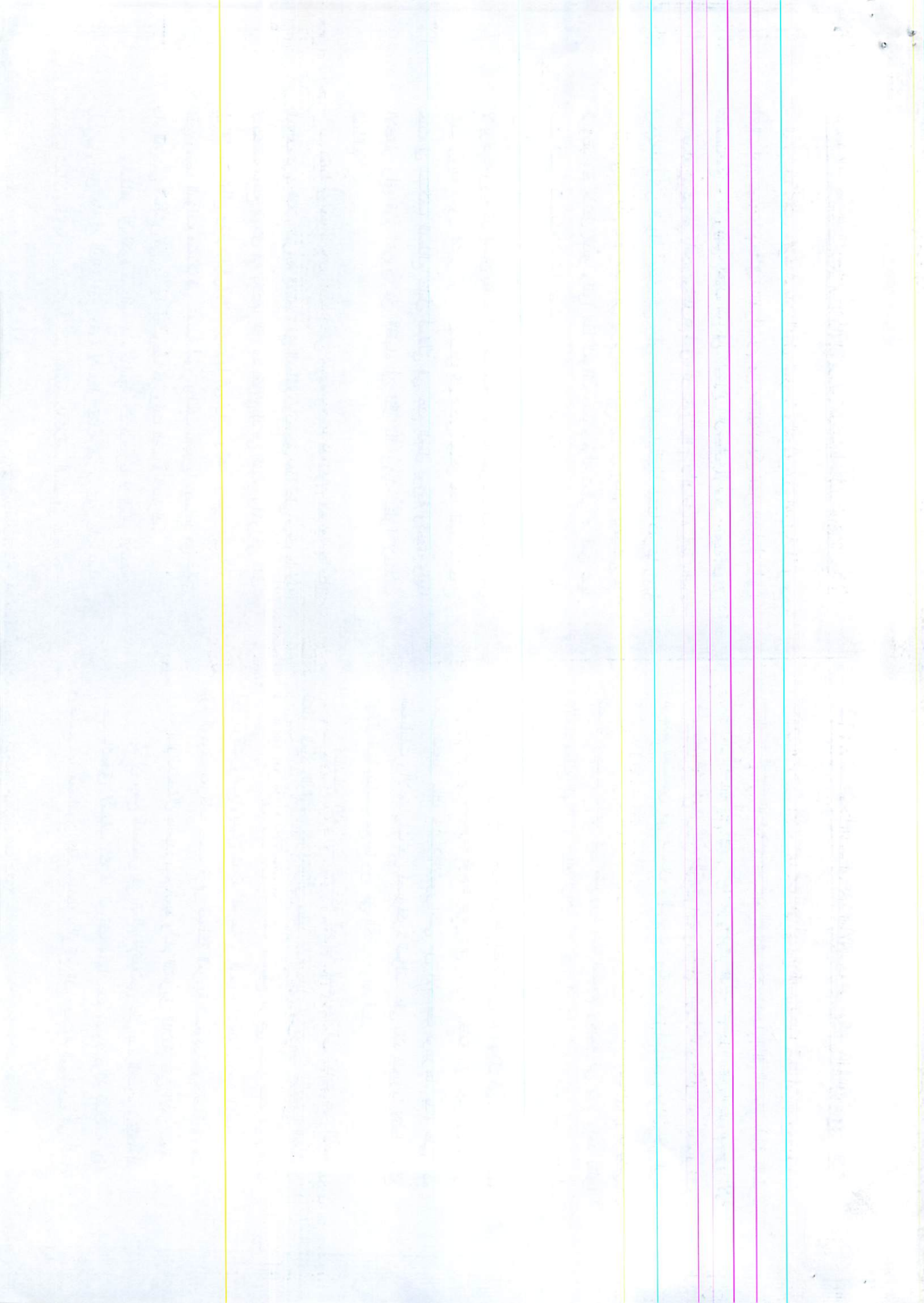
أماتسليم الأمر بيد المملكة العربية السعودية في تحديد عيد الأضحية لتعلق العيد بالوقوف بعرفات رأي سديد لأنه كثيل في توحيد صفوف المسلمين في العالم الإسلامي. وإن كان لاختلاف المطالع أثر في تحديد ذلك اليوم أيضا فإن الوقت واسع ويمكن البلاد القريبة و البعيدة الاحتفال بعيد الأضحية بعد يوم الوقوف بعرفات حسب قرار المملكة العربية السعودية، وخاصة أن هناك أربعة أيام للاحتفال بالعيد: يوم العيد وأيام التشريق الثلاثة. ففي الأمر سعة.

ثم إن جمع المسلمين في العالم الإسلامي على بدء الصوم وختمه أمر صعب التحقيق لأسباب نكرها المؤلف منها عدم وجود دولة إسلامية يتقاد ويخضع لها المسلمون كلهم. ونظرا للواقع الذي يعيشه المسلمون في أنحاء

وإذا كانت فكرة المؤلف -كما يبدو- تتعارض مع الحقيقة والواقع فكيف إذن نفهم ما دعا إليه المؤلف؟ وهل هناك محمل آخر لفكرته يجعلها تتناسب مع ما تقرّر في الكتاب من أن لاختلاف المطالع أثره في رؤية الهلال في البلاد البعيدة في وقت مختلف؟ أجل، قد تكون الدعوة للعمل بروية واحدة وجهة إذا كان المؤلف يميل إلى رأي بعض العلماء أنه إذا ثبت شرعا رؤية الهلال في بلد من بلاد المسلمين يلزم بقية المسلمين أن يعملوا بمقتضى هذه الرؤية. وقد استدل الذين وقفوا هذا الموقف بعموم قوله تعالى: "فمن شهد منكم الشهر فليصمه" ويقول صلى الله عليه وسلم "إذا رأيتموه فصوموه" على أن الخطاب عام لجميع المسلمين في بقاع الأرض المعمورة. ومن المعلوم أنه لا يراد به رؤية كل إنسان بنفسه لأن هذا متعذر وإنما المراد بذلك إذا رآه من يثبت برويته دخول الشهر. وهذا عام في كل مكان. ولكن هذا القول مرجوح حيث إن اختلاف المطالع عامل أساسي في عدم العمل بروية واحدة. ولهذا الاعتبار رأى قوم آخرون من الفقهاء أن لكل بلد رؤيته نظرا لاختلاف المطالع.

كما أن فكرة جمع الناس على رؤية واحدة قد تكون صائبة إذا كان المؤلف يريد البلاد القريبة المتحدة في المطلع، ويصدق هذا على نيجيريا لأنه لا يختلف مطلع الهلال في بلادها إلى حد يكون بلد في النهار وآخر في الليل. بل الشمس تطلع وتغرب في بلاد نيجيريا في وقت واحد. وعليه فإن الدواء الذي وصفه المؤلف متملا في خمسة أمور يناسب نيجيريا ويساعد في علاج داء الفوضى المنتشر في بقاعها خصوصا في وقت الصوم المبارك.

والظاهر أن فكرة المؤلف هذه مناسبة لبلاد نيجيريا لا العالم الإسلامي بأسره، ودليل هذا أن الدافع الذي دفعه لإصدار كتابه هو ما كان عليه مسلمو نيجيريا شمالا وجنوبا من بليلة وفوضى نتيجة لاختلافهم الدائم في بدء الصيام



التمسك بحبل الله جميعا كما ينهاتهم عن أن يتفرقوا كيلا تذهب ريحهم فنفسي
الفضى في المجتمع الإسلامي. وقد ذكر المولى الجليل في آيات الصوم
قوله "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر" وإذا اعتبرنا عموم هذه الآية
اهتدنا إلى أن العسر بكل أنواعه وبما فيه الاختلاف الشنيع مخالف لمقصود
الشارع في شرع الصيام، مما يعني أن العسر ليس منحصرا في مريض أو
سفر كما في سياق الآية بل يشمل كل ما يلحق أفراد الإنسان في المجتمع من
الأذى الضرر. وما أضر الاختلاف على وحدة الأمة وخاصة عند ممارسة
شعائر الدين!

وفي الحقيقة إن للمؤلف عناية فائقة بوحدة المسلمين في بلاد نيجيريا
بصفة خاصة وفي العالم الإسلامي بصفة عامة. ويمثل هذا الكتاب إحدى
محاولاته ومساعيه لتوحيد صفوف المسلمين من شمال نيجيريا وجنوبها.^{٤٢}
ولما كان الصوم شعيرة من أشهر الشعائر الإسلامية التي يطل بهلاله على
بقاع الأرض ويشعر بحلوله المسلمون وغير المسلمين في العالم كان له شأن
أكيد في تحديد مدى اتحاد المسلمين حيث يجمعهم الصوم والفطر في أن
واحد، ويعوجب شهرة شهر رمضان فإن الاختلاف في بدءه وختمه يُوحي
بعدم وحدة المسلمين في البلاد النيجيرية أو في العالم الإسلامي - لذلك حاول
المؤلف إيجاد الحل الناقع لمصيبة الشقاق بين المسلمين في كل سنة نستقبل فيها
شهر رمضان، ذلك لعلمه بأن الإسلام دين التوحيد لرب العباد كما أنه دين
الوحدة الذي يجمع جميع المسلمين أمة واحدة على قبة واحدة وهو دين
يشرهم بحصول القوة والغلبة عند اتحادهم واعتصامهم بحبل الله جميعا
وبحذرهم من الهزيمة والفشل الذي يعقب اختلافهم وتشتتهم.

العالم حيث انعدم الاتحاد بين الدول العربية والدول غير العربية فإن توحيد
المسلمين وجمعهم على بدء الصوم وختمه يكاد يكون عويصا إن لم يكن
مستحيلا. ولكن يبقى القول كما قال الشيخ القرضاوي "أن السعي إلى وحدة
المسلمين في صيامهم وفطرمهم، وسائر شعائرهم وشرائعهم أمر مطلوب
دائما، ولا ينبغي اليأس من الوصول إليه ولا من إزالة العوائق دونه، ولكن
الذي يجب تأكيده وعدم التفریط فيه بحال، هو: أننا إذا لم نصل إلى الوحدة
الكافية العامة بين أقطار المسلمين في أنحاء العالم، فعلى الأقل يجب أن
نحرص على الوحدة الجزئية الخاصة بين أبناء الإسلام في القطر الواحد. فلا
يجوز أن نقبل بأن ينقسم أبناء البلد الواحد، أو المدينة الواحدة فيصوم فريق
اليوم على أنه من رمضان، ويفطر آخرون على أنه من شعبان، وفي آخر
الشهر تصوم جماعة، وتعيد أخرى فهذا وضع غير مقبول. فمن المتفق عليه
أن حكم الحاكم، أو قرار ولي الأمر يرفع الخلاف في الأمور المختلف
فيها...!"^{٤٣}

فعلى العموم إن القراءة الدقيقة لهذا الكتاب تكشف لنا أن القضايا التي
تناولها المؤلف تشمل الأحكام الفقهية فيما يتعلق بالصوم والاثبات هلال
رمضان بالرؤية أو بالحساب وإمكانية توحيد بدء الصوم وختمه، كما تضم
القضايا الاجتماعية بخصوص ضرورة وحدة المسلمين للقضاء على البلبلة
والفوضى التي طالما تكتنف المجتمع الإسلامي في كل سنة. ولا تخفي علاقة
القضايا الاجتماعية - المتمثلة في ضرورة وحدة المسلمين ونبذ الخلاف -
بالصوم إذ إنه عبادة جماعية يشارك فيها جميع المسلمين في شهر واحد هو
رمضان كما يجمعهم عيد الفطر عند نهايته يجتمعون ويصلون في مصلى
كبير يكبرون فيه الله ويشكروته على ما هداهم. وهنا تظهر حكمة ربط
المؤلف قضية وحدة المسلمين بالصوم، فالإسلام يأمر ويحث المسلمين على

الختام

يتضح جليا من خلال ما سبق أن الدعوة إلى توحيد بدء الصيام وختمه التي أطلقها المؤلف تتوجه بالدرجة الأولى نحو المسلمين في ديار نيجيريا شمالا وجنوبا، وهي دعوة إلى نبذ الاختلاف في بداية صوم رمضان وعيد الفطر، ذلك الاختلاف الذي لا يزيد كيان المسلمين إلا فوضى وضعفا وهزيمة لصالح النصارى الذين رغم كونهم أقلية قد مسكوا بزمام الأمر في بلاد نيجيريا، يؤامرون ضد المسلمين ويكيدون كيذا لإضعافهم وكسر شوكتهم، وإن كانوا يختلفون في قضايا أخرى كثيرة إلا أنهم يتفقون حتما على تثبيت شمل المسلمين. وتعتبر هذه الدعوة وجيهة إذا علمنا أن مطلع الهلال لا يختلف في ديار نيجيريا بدرجة يكون بلد في وقت ليل وآخر في وقت نهار، والفرق في توقيت الصلوات المكتوبة لا يبلغ ساعة أو نصف ساعة. ولا شك أن اتفاق المسلمين على بدء الصيام وعلى الاحتفال بعيد الفطر سيعكس على شوكة الأمة تقوية لها وتعزيزا لكيانها كما يجعلها مهابة من قبل الأمم العداة التي تقف لها بالمرصاد وتكيد لها كيذا ايلا نهارا.

ومن أجل تحقيق الوفاق فيما المسلمين ونبيذ الشقاق وراءهم في قضية تحديد بداية شهر رمضان وعيد الفطر ينبغي تسليم الأمر بيد القائمين على الشؤون الإسلامية في نيجيريا متمثلا في لجنة رقابة الهلال تحت سلطان صوكوتو، ذلك لأن حكم الحاكم يرفع الخلاف. ولا يبعد هذا عن موقف المؤلف حيث اعترف بجدارة سلطان صوكوتو وأحقية بالاتباع في أمر بداية الصوم وختمه طالما أن لجنة رقابة الهلال ليست حكرا على أهل الشمال فقط، بل تشمل العلماء من الجنوب. وهذا ضمن لتحقيق الوحدة بين المسلمين.

وإذا تقرر أن مطلع الهلال في ديار نيجيريا لا يختلف فيلزم من هذا اتفاق المسلمين على رويته بأن يبدأوا الصيام ويفطروا في يوم واحد. ويكفي

في إثبات الهلال شهادة عدل على الأقل، وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم عمل بشهادة ابن عمر كـ "ما عمل المصطفى بشهادة الأعرابي" الذي جاءه وأخبره برؤية الهلال.^{٥٥}

نأمل أن يكون المضارع أحسن من الماضي في نيجيريا، فلا تستمر نار الاختلاف كلما أقبل رمضان حيث يصوم المسلمون في منطقة واحدة في وقت مختلف، ولا يتبع بعضهم قرار سلطان صوكوتو الذي يتولى مسؤولية تحرى الهلال رغم أنه يساعده في ذلك لجنة مكونة من العلماء والخبراء من شمال نيجيريا وجنوبها.

وفي الحقيقة أن تحرى الهلال أمر اجتهادي ولسنا مطالبين بإثبات الهلال عن طريق قطعي بل يكفي فيه إثباته عن طريق ظني قريب من القطع. وقد علق ابن منظور على الحديث: "صومكم يوم تصومون" أن الخطأ موضوع عن الناس فيما كان سبيله الاجتهاد، فلو أن قوما اجتهدوا فلم يروا الهلال إلا بعد الثلاثين ولم يفطروا حتى استوفوا العدد، ثم ثبت أن الشهر كان تسعا وعشرين فإن صومهم وفطرم ماض ولا شيء عليهم من إثم أو قضاء، وكذلك في الحج إذا أخطؤوا يوم عرفة والعيد فلا شيء عليهم.^{٥٦}

وعليه إذا اتفق المسلمون تحت حاكم على أن يوم كذا يوم الصوم أو يوم الفطر يلزم كل إنسان مسلم يقيم في البلد اتباع أمر الحاكم بالصوم والفطر مع أهله "لما علم من الشريعة بالاجتماع والتحذير من الفرقة والاختلاف ولأن المطالع تختلف باتفاق أهل المعرفة كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله".^{٥٧} وما نشاهده في نيجيريا اليوم من عدم اتباع الأمر الصادر ببدء الصوم وختمه من الجهة المسؤولة ليس إلا عدم المبالاة بوحدة المسلمين في البلد وحب الظهور من قبل شريحة قليلة بناء على قاعدة "خالف تعرف" مما لا سند له لا في الكتاب ولا في السنة.

الهوامش والمراجع

- الإلوري، آدم عبد الله، الصوم والقطر، (أجيحي، لاغوس-نيجيريا: مطبعة الثقافة الإسلامية، ط. ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ ع)
- انظر عبد اللطيف أونيرتي إبراهيم، نظام الشيخ آدم عبد الله الإلوري في تعليم التأليف باللغة العربية، ص. ١
- مهدي ساتي، "الداعية الشيخ آدم عبد الله الإلوري حياته وأثاره العلمية"، مجلة دراسية دعوية، العدد ٨، يوليو ٢٠٠٤، ص. ١٧٥
www.iua.edu.sd/iua_magazine/dawaa_studies/8/006.doc
- عيسى البني أبوبكر، أعمال العلامة الإلوري: قراءة وتلخيص، (القاهرة: النهار للطبع والنشر والتوزيع، د.ن)، ص. ٥
- محمد خير رمضان يوسف، تكملة معجم المؤلفين: وفيات (١٣٩٧-١٤١٥هـ) (١٩٧٧-١٩٩٥ م)، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط. ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م)، ص. ٩
- انظر المرجع السابق حيث ذكر المؤلف مؤلفات الإلوري حسب المجالات العلمية التي ألف فيها مثلًا قسم التاريخ والتراجم، قسم الإصلاح الديني والاجتماعي، قسم الدعوة وتاريخه، قسم التقارير، قسم التصوف والفلسفة، قسم التوحيد، قسم الثقافة الإسلامية، قسم التضامن الإسلامي، قسم الشرح والتحقيق، قسم الأدب العربي، قسم العلوم، وقسم الدراسات البلاغية. ثم ذكر أعماله الشعرية.
- ابن المنظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ط. ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م)، ج. ٧، ص. ٤٤٥
- ابن كثير، عماد الدين أبو القداء، مختصر تفسير القرآن العظيم، اختيار وتحقيق أحمد محمد شاكر، (مصر: دار الوفاء، ط. ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م)، ج. ١، ص. ٢١٧.
- القرطبي، يوسف، فقه الصيام، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط. ٢، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٦ م)، ص. ٩-١٠

نسال الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة. ورحم الله المؤلف وجميع أموات المسلمين: "الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم" (الحشر: ١٠)، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين (البقرة: ٢٨٦)

وصلّى الله على نبيينا محمد وآله وصحبه أجمعين. والحمد رب العالمين.

- ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في تدي العباد، حقق، نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤود وعبد القادر الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط. ٤، ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م)، ج. ٢، ص. ٢٧-٢٩.
- أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم (١٩٠٣).
- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف تفسر الطبري، ضبط وتعليق محمود شاكر، (بيروت: دار احباء التراث العربي، ط. ١٠٠ د)، ج. ٢، ص. ١٧٥.
- أخرجه البخاري ٩٩٤، ومسلم (٢٣٠٧) من حديث عبد الله ابن عباس.
- ابن القيم، زاد المعاد، ج. ٢، ص. ٣٠-٣١.
- الإلوري، آدم عبد الله، الصوم والقطر، ص. ٢.
- بلاد صوكوتو في إحدى الولايات الشمالية في نيجيريا، وهي منطقة تاريخية حيث كانت عاصمة للخلافة الإسلامية التي أسسها السلطان الشيخ عثمان بن فوديو مع أخيه عبد الله بن فوديو وابنه محمد بللو (رحمهم الله تعالى)، والتي دامت مدة قرن كامل (١٢١٩-١٣٢١ هـ/١٨٠٤-١٩٠٣ م). وتم سقوط هذه الخلافة الإسلامية القوية إثر دخول الاستعمار البريطاني إلى أرض نيجيريا، وما نهب ثروات البلاد وغصب خيراتها، ولم من سقوط الخلافة الإسلامية! لمزيد من المعلومات عن خلافة صوكوتو الإسلامية في نيجيريا قبل الاستعمار وعن جهود الشيخ عثمان بن فوديو انظر: الإلوري، آدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فوديو في ترسيخه، (بيروت: المكتبة الشخصية، ٢٠٠٩ م).
- الإلوري، آدم عبد الله، الصوم والقطر، ص. ٥.
- المرجع نفسه، ص. ٦-٧.
- المرجع نفسه.
- المرجع نفسه ص. ٩.

- العسكري، عبد المحسن بن عبد العزيز، يدائع الدعائي: آيات الصيام نادر وتحليل، (الرياض: مركز النشر للاقتناء والتوزيع، ط. ١، ١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩ م)، ص. ١٨.
- انظر، لسان العرب، حرف الراء، ص. ٣١٥.
- المرجع نفسه، ص. ٣١٦.
- أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم (٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام وعظم العظام (١٧٦) (٢١).
- أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان (١٦٠٠)، ومسلم، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لزوية الليل والقطر لزوية الهلال... (١٠٨١) (٢٠).
- العثيمين، محمد بن صالح، فتاوى في أحكام الصيام، جمع وترتيب فهد ناصر بن البراهيم السليمان، (الرياض: دار الشريعة، ط. ١، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٣ م)، ص. ٢٠١.
- ابن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم، ص. ٢١٨-٢١٩، نقلاً عن الفقيه ذكر الحال الثالث الذي مر به الصيام قائلا: قال: وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا انتنعوا، ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له: صرمت، كان يعمل صائماً حتى أسمى، فجاء إلى أهله فصلى العشاء، ثم نام فلم يأكل ولم يشرب، حتى أصبح صائماً، فرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جهد جهداً شديداً، فقال: ما لي أراك قد جهدت جهد شديداً؟ قال: يا رسول الله، إني عملت أمس فجئت حين جئت فألقيت نفسي فتمت فأصبحت حين أصبحت صائماً. قال: وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام، فأنتي التي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فأنزل الله عز وجل: "أَجَلْ أَكُنْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ" إلى قوله: "ثُمَّ لَمَّا أَصْبَحَ الصَّيَامُ إِلَى اللَّيْلِ". وأخرجه أبو داود، والحاكم، وقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة أنها قالت: كان عائشة وأبو نضام، فلما نزل فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر. وروى البخاري عن ابن عمر وابن مسعود، مثله: انظر المرجع نفسه.

- المرجع السابق، ص. ١٩
- المرجع السابق، ص. ٢١
- في زاد المعاد، الجزء الأول، أن أبا هريرة كان يقول لأن أنعجل في صوم رمضان بيوم أحب إلي من تأخير، لأنني إذا تعجلت لم يفتني وإن تأخرت فاتني.
- انظر المرجع السابق، ص. ٢٥
- المرجع نفسه
- انظر المرجع السابق، ص. ٢٦. حيث لاحظ المؤلف أن علماء يوريا يقولون على رأي السبكي في تأخيرهم الإفطار إذا ما سمعوا أن إخوانهم الشماليين أفطروا على رؤية الهلال من بلاد الشمال فأفطر سلطان سوكوتوا وأمر الناس أن يفطروا...
- المرجع السابق، ص. ١٩
- المرجع نفسه ص ١٩.
- المرجع السابق، ص. ١٥، وانظر كذلك ص. ١٦
- قال الذين اعتبروا اختلاف المطالع بأن التوقيت الشيعي كالنقبة اليوم، فكما أن البلاد تختلف في الإسلام والإفطار اليومي فكذلك يجب أن تختلف في الإسلام والإفطار الشهري، ومن المعلوم أن الاختلاف اليومي له أثره بانفاق المسلمين. انظر فتوى الشيخ محمد الصالح العثيمين في فتاوى رخصان في الصيام والقيام والاعتكاف وزكاة الفطر لشيخ الإسلام ابن تيمية وعدد من العلماء المعاصرين، اعتنى بها ورتبها أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ص. ١٠٣-١٠٥
- القرضاوي، يوسف، فقه الصيام، ص. ٣٢-٣٣
- وحدة المسلمين في بلاد نيجيريا موضوع لا تخطو منه معظم مؤلفات الإلوري، و في إحدى تلك المؤلفات حذر من مشكلة العصية القبلية التي تقع فيها المسلمون من الشمال والجنوب، "بينما يتمتع رجال الكنائس بالوفاق والوئام، لا فرق بين الجنوبيين منهم والشماليين، ولا بين قبيلة وقبيلة، بل كلهم يد واحدة على من سواهم". انظر الإلوري، آدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فويو القلائي، ص. ١٢٣

- المرجع نفسه، ص. ١٠-١٢
- في كتاب آخر له ذكر المؤلف أن قوله تعالى: "فمن شهد منكم الشهر فليصمه" فهم بعض الناس أنه خطاب موجه إلى كل من شهد الشهر من كل بلد من المسلمين، أما من لم يشهد الشهر في بلده فليست ظهوره عنده حتى يشهده الناس من أهل ذلك البلد، وفهم بعض الناس أنه خطاب لجميع الأمة إذا شهد واحد من المسلمين كفى الجميع وليس لأحد الطرفين أن يقول للآخر أنت على خطأ وأنا على الصواب". انظر الإلوري، آدم عبد الله، توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب أفريقيا، (أغيغي)، لاغوس - نيجيريا: مطبعة الثقافة الإسلامية، ط. ٢، ١٩٨٨م - ص. ١٦
- المرجع السابق، ص. ١٤-١٥
- ونص الحديث كما أورده المؤلف ما يلي: "عن كريب أن أم الفضل بعته إلى معاوية بالشام، قال قدمت الشام فقصيت حاجتها واستهل علي رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني ابن عباس ثم ذكر الهلال فقال متى رأيتم الهلال؟ فقلت رأيته ليلة الجمعة فقال وأنت رأيته فقلت نعم وراه الناس وصلوا وصام معاوية، فقال لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى يكمل ثلاثين أو نراه، فقلت ألا يكفى برؤية معاوية وصيامه فقال لا، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم". المرجع السابق، ص. ١٧ وانظر أيضا فتاوى رمضان في الصيام والقيام والاعتكاف وزكاة الفطر لشيخ الإسلام ابن تيمية وعدد من العلماء المعاصرين، اعتنى بها ورتبها أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الرياض: مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص. ١٠٦-١٠٧
- أورد المؤلف كلام الشيخ المطيعي الذي قال في كتابه المسمى إرشاد الملة (ص. ٢٤٠) "قال أبو حنيفة ومحمد ومالك والشافعي وأحمد لا تعتبر رؤية الهلال بالدهار أصلا لا قبل الزوال ولا بعده، إذ المفهوم المتبادر من رؤية الهلال التي علق بها وجوب الصوم والفطر رؤيته بعد غيبة الشمس في كل شهر عند الصحابة والتابعين ومن بعدهم، فلا عبرة برؤيته نهارا قبل زواله بعده. انظر المرجع السابق، ص. ٢٠

تخريج أحاديث كتاب "الدين النصيحة للشيخ العلامة آدم عبد الله الإلوري

خالد بللو

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

فإن قرآن رسالة الله إلى الناس كافة كتب الله له الحفظ والنقل المتواتر دون تحريف أو تبديل أو تغيير وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في عدة آيات من القرآن قال تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ".^١ وقد جاء القرآن الكريم مشتملاً على الدين كله، بعضه مفصل والكثير منه مجمل. وكل الله تعالى تبين ما أبهم في القرآن، وتفصيل ما أجمل، وتبديد ما أطلق إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ثم جاءت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم - قولية أو فعلية أو تقريرية - مبينة لما أبهم في القرآن ومفصلة لما أجمل ومقيدة لما أطلق. يقول الله - عز وجل - : "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ".^٢ ولما كان القرآن بحاجة إلى السنة كانت السنة من وحي الله - تعالى - إلى نبيه - صلى الله عليه وسلم - حتى يكون المبين والمبين من مصدر واحد، وعلى مستوى واحد في الإحتجاج والإعتبار، لكيلا يكون بينهما بون وفرق. ولهذا ذهب جلة العلماء إلى التسوية بين كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - من حيث الحجة على العقائد والأحكام، لأنهما يصدران من مشكاة واحدة، مشكاة الوحي الإلهي المعصوم. يقول الله - عز وجل - عن رسوله - صلى الله عليه وسلم: "وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى".^٣ وقال رسول الله

- أخرج أبو داود (٢٣٤٢)، في الصوم: باب شهادة الواحد، والدار قطني ص. ٢٢٧ عن أبت عمر قال: تراءى الناس الهلال، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنني رأيته، فصامه وأمر الناس بصيامه. وسنده قوي، وصححه ابن حبان (٨٧١) والحاكم (٤٢٣١)، وأقره الذهبي.
- أخرجه الترمذي (٦٩١) وأبو داود (٢٣٤٠)، والنسائي (١٣١٤)، وابن ماجه (١٥٥٢)، وابن حبان (٨٧٠)، والحاكم (٤٢٤١) وابن خزيمة (١٩٢٣) من حديث سمالك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إني رأيت الهلال، فقال: أتشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، قال: يا بلال أذن في الناس أن يصوموا غداً. وسمالك في روايته عن عكرمة اضطراب، لكن يشهد له حديث أبت عمر المتقدم فيقوى به.
- انظر ابن القيم، زاد المعاد، ج. ١، ص. ٣٦-٣٧.
- انظر لسان العرب، ج. ٧، ص. ٤٥.
- انظر فتاوى رمضان في الصيام والقيام والاعتكاف وزكاة الفطر، ص. ١٤٣.